مطبوعات حديثة

مفكرات في العهد الحميدي

مهما موّه الراضون عن عهد عبد الحميد وسكتوا عن نقائصه فانّ تفنن الرجل بالمحافظة على حياته ثابت لا يحتاج الى برهان ، وله في ذلك بعض العذر لانه رأى ملكين قبله قد خلعا ، وكاد السلطان يترك مهام السلطنة ليستمع ليل نهار لجواسيسه وعيونه ، ينفق في ذلك أموالاً لو صرفت في المشاريع النافعة مدة ٣٤ سنة لأتت بموارد تغني السلطنة لا محالة ولصانَ ذاك المالك العظيم من التمزق بادخال الدساتير النيابية الحرة . وقد أشبه عهد عبد الحميد بدور الفتور ، فان الدولة بعد ان غلت مراجلها مدة ستة قرون انتهت ايامها الاستبدادية بآخر زي من أزياء الاستبداد وهو العهد الحميدي فأدخل فيها آخر طراز من الفساد ونعني به فساد الاخلاق ، وهو من أعظم ما يقضي على الدول والأمم فينسفها نسفاً .

أكتب هذا وانا أتلو كتاباً صدر حديثاً باللغة الافرنسية كتبه رجل عاقل غريب عن العثمانية ، مطلع على عجرها وبجرها ، ولعل هذا السفر أصح مصدر يصح الاستشهاد به على فساد دور عبد الحميد . واسم المؤلف (لويز رامبر [1]) واسم مؤلفه « مفكرات وتأثرات عن تركيا » او الدولة العثمانية على عهد عبد الحميد الثاني من سنة ١٨٩٥ — ١٩٠٥ طبع في جنيف من بلاد سويسرا . وكاتب هذه المفكرات هو سويسري الاصل خالي الغرض في الجملة ، ولو كان من أبناء دولة كبرى لاتهم بان له ضلعاً معها ويحاول النيل من العثمانيين وناشر هذه المفكرات الآن هو ابن كاتبها (١٨٣٩ — ١٩١٩) نشرها بعد ان طُويت ذاك البساط بما عليه جملة . نشرها للتاريخ ، وأعظم بنشرها من خدمة .

المؤلف من اعلى الطبقة العليا في اهل سويسرا حقوقي اداري مالي أديب مفنن ،

(١) هكذا اسم الكتاب بالافرنجية :

Louis Rambert : Notes et Impressions de Turquie L'empire Ottoman sous Abdul - Hamid II 1895 1905

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أنشأ في صباه جريدة يومية وناب عن أمته في مجلسها العالي ، وكان محامياً مشهوراً وله يد طولى في فتح نفق سان غوتار المشهور بين ايطاليا وسويسرا ، وطلب اول مرة الى الشرق ندبه لذلك نوبار باشا وزير مصر في عهد الخديوي اسماعيل في جملة من اختار من رجال الغرب لخدمة مصر فوصلها ، وكان اسماعيل قد خُلع فرجع من حيث أتى . وبعد مدة ندبته شركة افرنسية لانشاء سكك حديدية في السلطنة العثمانية ، ثم تولى أعمالاً كبرى وأهمها نظارة إدارة حصر الدخان في الاستانة فأبان في جميعه علواً في الفكر وخبرة بحياة الناس وحياة الأعمال ، ومعرفة بمعاناة المسائل الكبرى حتى صار لا يلامس منها الا الامور العملية ، وينظر فيها فيعرف المدخل والمخرج من اول وهلة وقد استبطن أسرار السياسة والمالية فكان إدارياً مدهشاً كما قال فيه واصفوه .

أطلت في تعريف الرجل لان للتعريف به دخلاً كبيراً في تسهيل الاعتقاد بصحة احكامه على تلك السلطنة الكبرى وعلى ذاك الرجل الذي سقطت على يده وبيده . ومما يزيد في الثقة بما رواه المؤلف انه كان قريباً جداً من مصادر الحوادث التي وقعت في دار الملك العثماني وكانت له صداقات مؤكدة مع اكبر وزراء السلطنة وولاتها وعمالها وهو على اتصال مع الطبقة السامية من الاجانب فيها ومنهم السفراء ورجال السياسة والاعمال ، فكلامه اذاً كلام الخبير الصادق لا تقرأ فيه شيئاً من الغرض بلى تتبين فيه التحقيق ومعرفة تامة بالحياة وبحثاً وتدقيقاً قل ان تراه لغربي كتب على الشرق وكيف ذلك وليس لجميع من كتبوا مثل ادواته حتى تصح احكامهم وتجود تآليفهم .

دخل المؤلف الاستانة قبيل العهد الذي نشبت فيه الثورة الأرمنية ، التي هلك فيها الوف من الأرمن في الاناضول والاستانة اي في سنة ١٨٩٥ وظل يكتب مفكراته حتى هلك سنة ١٩١٩ . وقد قال ابنه في هذه الحوادث الارمنية في مقدمة الكتاب ما تعريبه : « ينظر عادة الى مذابح الارمن في الغرب بانها نتيجة التعصب الاسلامي ، على حين ان السبب الاصلي هو سياسي (Opportuniste) اكثر مما هو ديني : والظاهر ان قليلاً من الأديان كانت من التسامح على مثال الدين المحمدي ، وأحسن دليل يورد في هذا الشأن كثرة عديد الارمن واليهود والروم وغيرهم ممن كانوا يعيشون مع الاتراك على صفاء في الجملة الى عهد الحرب العالمية . وكثير منهم شغلوا اسمى المراكز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في حكومة السلطنة وإدارتها » الى ان قال وهو عين الانصاف : وكان الداعي في تدبير المذابح الارمنية يد عبد الحميد وحاشيته سياسياً صرفاً لانهم حاولوا ان يقيموا لهم ملكاً بين السلطنة العثمانية وبلاد روسيا تكون عاصمته ارضروم ٠

هذه المفكرات قطع تختلف بطولها من بضعة اسطر الى بضع صفحات بحسب الموضوع ويؤرخها مؤلفها باليوم والشهر اللذين كتبت فيهما بعبارة عالية تتجلى فيها روح المالي والاداري والفنان والاجتماعي، بعيدة كل البعد عن البذاء والهراء وفيها احياناً الاحماض اللطيف والتهكم بادب قل ان عهد الا في كتابات الشعوب التي بلغت أقصى درجات الحضارة تزينها حسن الاخلاق وجمال الثقافة ٠ وكثيراً ما دوّن صاحب المفكرات اشياء ربما لا تفيد كل الناس وهي قليلة جداً ولكن نفسه كانت تهتم لها كتفاصيل بعض الحوادث ومنها ما له علاقة ببيته وعمله الخاص ومنها تفهم كيف يعيش ارباب الاعمال من الغربيين في الشرق ٠

تكلم في مفكراته (٣٠ تموز ١٨٩٩) على المشاريع التي قام بها الافرنسيون في بلاد الشام فقال في خاتمتها بعد وصفه مشاريع السكك الحديدية « يرجع اخفاق المشاريع في الشام الى الطريقة التي يدرك بها ارباب الأموال من الفرنسيس الاشغال الشرقية ٠ فان هذه الاعمال كلها قليلة الربح قليلة النجاح في السنين الاولى ٠ فالواجب اذاً ان يراعى في عملها الاقتصاد ما امكن برأس مال قليل وانتظار ارباح العمل حتى يتدرج الى النجاح ٠ بيد ان الجماعات من الافرنسيين يعملون عكس ذلك فانهم يعينون رأس المال سلفاً على أساس الواردات الموهومة ويتقاسمون الارباح المقدرة بصورة زيادة في أسعار البناء او في قيم السهام التي تصدر الى ساحة التداول ، وقد أسرفوا في إنفاق المال على هذه الأعمال في الشام إسرافاً فاضحاً وتناول القائمون بالعمل مبالغ طائلة لانفسهم في قالب حصص (Apports) الى الشركات ٠ فرأس المال الذي طلب هو أعظم كثيراً مما يقتضيه المشروع ولم يكد البناء يتم حتى زهقت روح الشركة ٠ التجربة ثابتة كما هي ضارة ، لا جرم انه لن يستفيد احد من هذه العظة » ٠

وجاء في مفكرته يوم ١٥ نيسان سنة ١٩٠٠ « ان فقراء الفلاحين الذين يزاد في أعشارهم الى الحد الذي لا يطاق ، لا يجدون من يدافع عنهم ، ويتحملون الظلم الذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقع عليهم صابرين ، الا ان إرهاق الفلاح وهو المقضي عليه باداء كل ضريبة وسخرة بدون رحمة قد نشأ منه الآن الداء المعضل وهو خلوّ القرى من سكانها . ويقال على الجملة انه ستزيد الحركة وتفنى معها المادة التي يمكن ان تؤخذ منهـا الضرائب . تصبح تركيا اليوم بعد اليوم مملكة تحت التصفية ، ولا نزال نذكر انها أضاعت ولاياتها في البلقان الواحدة تلو الأخرى بفعل المعاهدات الاوربية والحملات المشؤومة ، فقدفقدت كريت مؤخراً عقيب حرب ظافرة . وفي ذلك طريقة التصفية مباشرة وإضاعة البلاد او التخلي عنها بدون جلبة . ويمكن الوصول الى نفس هذه النتيجة من طريق غيرمباشر وذلك بالتضييق على سكان الولاية في معـايشهم و بجعل البلاد المنتجة قفراً . فان آسيا الصغرى تتصفى بالطريقة الثانية على حين ان املاك تركيا في اوربا تتقطع إرباً أرباً .

أصبح القسم الشرقي من المملكة في آسيا أشبه شيء بالقفار فان مذابح الارمن وهجرتهم الى ولايات الشمال وتخريب الكتائب الحميدية والقبائل الرحالة في الجنوب في وادي دجلة والفرات ، كل هذا قد أحدث في بضع سنين تأثيرات عظيمة . ندب مدير اعمال ادارتنا (كاب) آخراً للتجوال في هذه الأصقاع ودرس مشروع سكة حديد بغداد فقص علينا انه بحث كثيراً عن القرى التي ذكرت بعثة پونس انها موجودة على طول الطريق . وهذه البعثة قامت بمثل هذا الغرض منذ ست او سبع سنين . وكانت القرى القائمة إذ ذاك تعد بالمئات فخربت وعفيت آثارها كأنها لم تكن بالامس عامرة . اما بقية بلاد آسيا الصغرى فهي موقوفة ابداً على التدرج في زيادة الاعشار بحيث تصبح الزراعة متعذرة وتزيد رداءة الحال الى مايدعو الى انفضاض السكان من القرى . ثم تكلم على المهاجرين من الاقطار الاخرى الى بلاد السلطنة اذ ذاك وقال ان هذا مرض مزمن خاص بدور التصفية الذي نجتازه الخ .

وقال في كلامه على نفي السلطان لبعض الاعيان : وصعب ان يدرك المرء كيف يصرف السلطان جهده في مراقبة جميع دسائس الشرطة ، خصوصاً اذا نظر ان فكره المريض من قلة الثقة يهتم لا بالاخطار الموهومة التي يرى نفسه محاطاً بها في عاصمته ، بل بجميع الاعمال المشتبه بها التي تحدث في أرجاء سلطنته وهذا مما لا يكاد يصدق . في حلب والٍ اسمه رائف باشا كان ناظراً للاشغال العامة وهو رجل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

معروف . ذكر لنا ابنه امس ان اباه أراد ان يزور احدى مدن ولايته فأرسل الفرسان في أثره وعادوا به الى حاضرة الولاية كأنه مجرم ، وذلك لان القائد العسكري في الولاية أبرق الى السلطان ان رائفاً هرب فصدر اليه الامر في الحال ان يقبض عليه .

وقال في وصف القدس ان الناظر الذي يرى الاشياء بالعين المجردة يرى القدس اليوم (في عهده) أثراً من آثار تفوق الاسلام و يرى المسلمون في حالها دليلاً ظاهراً على تفوق دينهم ، وليس ذلك الا وهم من أوهام النظر فان الاحوال السياسية وان قضت على الحكومة العثمانية بالتسامح الواسع ، قد اضطرتها الى تنظيم ادارة سيادتها وحكمها على الارض المقدسة عند اليهود والنصارى ، وهؤلاء تركوا وشأنهم ولم ينظمهم نظام عام فأفرطوا في أهوائهم الشخصية والمذهبية . فان السلطة التي تنفذ بحذق واعتدال وما هناك من انانية ومطامع لا نهاية لها قد أحدثت تناقضاً مذلاً تتأذى به أبصارنا ! وقال في دمشق : لا يأسف الانسان في مكان بقدر ما يعروه من الأسف عندما يرى هذه البقعة الجميلة من الارض سلمت الى بلادة الادارة العثمانية وطمعها .

وصف (١٣٣) عبد الحميد وعهده فقال : حقيقة من الغرائب ما يُرى من السلطة النافذة بالخوف والإرهاب في هذه البلاد التعسة . فان السلطان محكوم عليه بالارهاب وجميع أعماله منبعثة من الخوف . وقد عهد الى جماعات من الجواسيس ان يحموه من الأخطار الموهومة التي يعتقد انه محاط بهـا . ولما كان هؤلاء الجواسيس يستفيدون بذلك فليس لهم من همّ الا ان يدوم لهم سلطان الوهم يمدونه ويهيجونه بما عندهم من القوى . وان كبار رجال الدولة والوزراء والحجاب والقواد ليعيشون بالخوف وهم يعتقدون ان خوفهم ليس عن وهم صرف لان للسلطان مطلق التصرف في استعمال مايخطر له من نفي من أراد ونكبته والحكم عليه بالموت او بالحياة . فان دسيسة مدبرة بحذق او خيانة في عمل سري ووشاية جاسوس مقدّم يتأتى منها لكل واحد منهم ان يجني أفظع النتائج . وعندئذ فلا تراهم الا مراقبين بعضهم على بعض و يستقرون أخبار الجار لانهم يحاذرونه ويعدون السلاح ليستطيعوا ان يدفعوا عن انفسهم او يهجموا اذا قضت الحال ، ويحاولون ان يتعرفوا ماتدور عليه أعماله وأسراره الخاصة . وما من عمل سافل ولا من خيانة يتردد احد في إتيانها اذا كان فيها رضا السلطان او إسقاط من نال حظوته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكل هذا أحدث تبلبلاً ووشايات وقصصاً مستحيلة تسير بين الناس وتتصادم وتتعارض وتتساقط وكان منها الصالح للاكاذيب والعداوات والدسائس والدناءات يرفرف عليها كلها سلطان الفزع والإرهاب الخ ٠

وقال (١٦٢) ان النظر الى مجموع هـذه المملكة غريب جداً فان فكر الانتقاض والعصيان ومحاربة الشقاء والثورة على البؤس مما تولد منه فظائع اجتماعية مثل الفوضوية والعدمية وقتل الملوك والحكام اما هنا فالامر على عكس ذلك فان الناس كلهم يحنون رؤوسهم والملك يعمل ما شاء في تدبير الدسائس على رعاياه ليسلبهم أموالهم و يحيط به خدامه و يسلم البلاد اليهم يسلبون الامة ويمتصون دماءها ٠ واذا نشأ بالمصادفة رجل ذو إرادة في وزارته يكون عرضة لكل مراقبة ولا يلبث ان يغيب مبعداً او سجيناً او منفياً او يصيبه غير ذلك ٠ فالفوضى في كل مكان والأشرار يعيثون في كل صقع فساداً وهم مدججون بالسلاح والناس الساكنون يُؤذون أنواعَ الأذى وليس هناك من حماية ولا شرطة ولا إدارة بل ان السلطان الاكبر للسلطان الذي يدير هذه العدمية و ينفذها ٠ والوظائف في الولايات لاتعطى بحسب الاستحقاق وقد يحسنون على رجال عظام بوظائف في الولايات إرادة إبعادهم عن الاستانة ولذلك تجد في الولايات مثل دمشق وطرابزون وقسطموني رجالاً عظاماً ٠٠٠

وقال يصف تأخر المملكة العثمانية وتفسخها بعد ان عاد من اوربا وقال ان رجعته الى الاستانة وتغيير عظيم وراحة للفكر والجسم فان المرء بتنقله هذا بين الاستانة واوربا لا يتنقل فقط في المسافات بل يتنقل في الاوقات والادوار ٠ فان ثلاثة قرون تفصل بين أتراك اليوم وطريقتهم في فهم الاشياء وصلاتهم الاجتماعية وحياتهم العامة ، وبين ارتقاء اوربا الغربية وفضلاً عن هذا التباين المحسوس فان تركيا تهوي قليلاً قليلاً الى درجة سوأى من الانحلال والاستسلام على حين تسير اوربا بخطى واسعة وتنتفع بالاختراعات الحديثة وتغتني أدبياً ومادياً ٠ وذكر بعد صفحات وقد عرضت عليه الدولة ان تبتاع سهام إدارة حصر الدخان قوله : حقاً ان هؤلاء القوم عجائب بسذاجتهم فانهم كلبوا في نقض البنيان الموجود وإلقاء العثرات في سبيل عمل يسير وهذا لا يوازيه الا عدم كفايتهم لايجاد شيء ثابت دائم مهما كان نوعه ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال في وصف الأروام : اننا نعيش في الاستانة الى جنب الأروام كثيراً وهم ثرثارون مثل اهل مرسيليا مفرطون في كلامهم يتكلمون باصوات عالية و باشارات عظيمة ، وكل ذلك ليعبروا عن امور تافهة او لا أصل لها . فهم مهذارون الى التي ليس بعدها و يفيضون اليك و يسرون في أذنيك بأكاذيب هائلة يعتقدونها كل الاعتقاد . لا جرم انهم أناس عاديون غير متماسكين ، رأينا فيهم ما عرفناه عن الروم القدماء ، وكنا نذهب الى ان ما أثر عن قدماء يونان من الاعمال والانتصارات والمجد هو من صلفهم وصلف الجنوب ومبالغاتهم ومبالغات مؤرخيهم وشعرائهم قياساً مع أروام اليوم ، لولا ان في زيارة المصانع القديمة في يونان وذكريات العصر اليوناني العظيم مما يزيل هذا الظن ، فان البراهين على الثقافة العالية والاقتدار والالهام العالي محسوس لا نزاع فيه .

وقال (ص ٢١١) : زارني هذا الصباح عظيم من عظماء القصر فنعيت اليه قدري بك (والي طرابزون وكان إدارياً حكيماً) فضرب بيديه سروراً وصرخ صرخة الفرح ، واذ قد رآني صامتاً دهشاً قال لي : وهذا والٍ سينصب له خلف ، والغنم لنا في ذلك لان خلفه يجب عليه ان يؤدي على الأقل من ثلاثة الى اربعة آلاف ليرة الى صندوقنا المشترك . ولقد هممت ان أدفعه الى أسفل السلم لكلامه هذا واكتفيت بان قلت له بلهجة استغرب بها : ان الفضل يرجع الى قدري بك بحماية بلاده من ان تكون طرابزون مكدونية ثانية على الحدود الروسية ، وان التفكر في إتمام السياسة التي سار عليها قدري بك أهمُّ من تسرب بضعة آلاف ليرة الى صندوق كصندوقهم .

وذكر بداعي وصف احدى الجرائد السويسرية لحال مقاطعته في الأزمان الغابرة ان تبدل الأخلاق وما يتمتع به الجمهور من المرافق العامة يرجع السبب فيه الى أسباب بعيدة صعبة اكثر من التبدلات الساذجة في اصول الحكم والسياسة في شعب . فان هذه التبدلات نفسها ليست سوى نتائج حدثت من اسباب أخرى هي قائمة بانتشار التربية العقلية التي تخلق وتموت في أطراف العالم منبعثة من أسباب عرضية من مثل ظهور رجل عظيم او نبي كريم . ومن الأمة المنوّرة ينشأ الذكاء في طبقات الخاصة الذين يوجدون العلم و يكشفون عن محيا امور نجهلها او يوحون الينا بشرائع ادبية خصبة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بنتائجها ... والفلاح هنا يعيش تعساً في كوخه جاهلاً ما يجري على ميل من مقره لا يملك نقداً و يحصل على حاجياته بطريق المقايضة . وهنا ايضاً لا شأن للنظام والتنظيم الذي هو من شأن المجالس البلدية ، والطرق غير امينة ولا سبيل الى التنقل الا بخفارة . وهنا ايضاً احتفظ القوم باساليب التعذيب والعقوبات التي كانت تجري على عهد شارلكان ...

وكتب (ص٢٦٨) زرت هذا الصباح الصدر الأعظم في قصره وكان يشكو ألماً في ضرسه فقصّ عليّ الدسائس التي تحيط به وما يتهمه به النامون قال : ان في الولايات ولاة لا شأن لهم الا ان ينهبوا الدولة و يسلبوا الامة اقترحت تنحيتهم او نقلهم وعبثاً حاولت لان جلالته لا يصفق على ذلك لان بعض الافاقين او الخدم او احدى نساء الحرم تحمي الوالي ، فيوهمون السلطان انني أعمل بعوامل جنسية ضد مصلحة الدولة والسلطان يعتقد باقوال هؤلاء الساقطين اكثر من أقوالي .

ومن مذكراته (ص٢٤٢) : ان الألمان منافسون وفيهم الخطر : ذلك لان سفارتهم وبيوتهم المالية الكبرى لضغط بكل ثقلها على مفاوضات الحكومة العثمانية ومفاوضات السلطان ، وترى الافرنسيين يوماً ناجحين ومن الغد منقهقرين ، وهكذا تمر الاسابيع والشهور . وجميع العقبان والبواشق في القصر السلطاني من كبار رؤساء الجواسيس والحجاب وأمناء السر والباشاوات وبعض الوزراء يراقبون هذه الحركات والقلق آخذ منهم ، وأعناقهم ممتدة ، واقفين بالمرصاد للغنائم منتظرين صدور الارادة السلطانية في تعيين الظافر وظهور المنكوب السعيد يوزع عليهم « البخاشيش » عندما تكتب له الغلبة . وما أغرب شأنهم ذاك اليوم . منظر جدير بمثل هذه المملكة مملكة عبد الحميد ... في ادارتي رجل مستقيم فعال اسمه حاجي اوليا عهدنا اليه باستثمار الدخان في ولايات ساحل البحر الاحمر اليمن والحجاز وقد أصبح واسطة لجميع العلاقات بين الدولة وتلك البلاد في البياعات ونقل الجنود والبضائع والمواد . اتى يوم وقد أصبح له في ذمة وزارة المالية ٢٤ الف ليرة عثمانية وتعذر عليه ان يقبض فلساً واعترفت النظارة بصحة حساباته بعد صعوبات جمة وقضى مجلس النظار بان يؤدى اليه مطلوبه ، ضرورة ان الدولة ستطلب منه خدماً أخرى ، وحاول عبثاً استصدار الارادة السنية بذلك ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو منذ أشهر يأتينا شاكياً متوجساً خيفة من إفلاسه القريب ، وها قد اتى امس الى إدارة حصر الدخان متهللاً كأنه عاد فتياً عشرسنين الى الوراء يتغنى بامادح السلطان ، ويحمد الله على توفيقه . فسألته ماذا جرى لك ياحاجي اوليا فأجاب لا تعرف ماجرى يا ذا السعادة ان اخي فكر فكراً حسناً فأرسل اليَّ من اليمن اربع بقرات غريبة لكل منها سنام في ظهرها فقدمتها هدية الى السلطان فصدرت ارادته بعد اربع وعشرين ساعة وسألني السلطان ان أجلب له طيوراً من بلاد العرب وهاءنذا أقبض الاربعة والعشرين الف ليرة وقد أنقذت مما كان يتهددني . اما نحن فاننا نقاسي منذ سنين الامرين من سخط السلطان وذلك لاننا لم نعرف المدخل والمخرج ولم نستطع جلب اربع بقرات محدودبة الظهر فالواجب ان نفكر في طريقة أخرى .

ومن مفكراته يوم ٢٢ آذار ١٩٠٥ : تتابع الفضائح الداخلية في القصر السلطاني ويوم السبت الماضي كانت لجنة حربية منعقدة للنظر في حوادث صنعاء وحالة اليمن والحجاز المضطربة فان كثيراً من القبائل العربية قد انتفضت وهي محاصرة مدينة صنعاء شرقي جدة ، وشاع في الأيام الأخيرة ان المدينة قد سلمت . ومهما يكن من الامر فان المناقشة في اللجنة العليا كانت محتدمة على ما يظهر عندما دخل الكاتب الثاني عزت باشا المشهور وتقدم يشارك اللجنة في مذاكراتها فقام ناظر الحربية اذ ذاك وسأله بشدة كما يسأل صعلوك يتدخل فيما ليس من شأنه ، وأضاف الى كلامه حركته وتناول كرسياً بيده وكسره على رأس ذاك السوري الصغير فوقع اضطراب واستدعي الطبيب زامباكو باشا وقد أخرج الصدر الاعظم منديله ليقطع به الدم المهراق . جميع اهل المنتدى يقصون هذه القصة وكل انسان يأسف لان أثاث القصر لم يكن متيناً والا لكان الوزير حطم رأس الباشا بدلاً من ان يكسر الكرسي فقط . وليت شعري اي معروف كان أسدى لبلاده ! وسيان وفق في ضربته ام لم يوفق فان حركة الوزير كانت جميلة في النظر ، ترى فيها البادن العظيم رضا باشا بقامته الكبيرة يحمل كرسياً ليسحق به هذا الافعوان المضر . وليت شعري ما كان أجمل الصورة الشمسية التي تستخرج بنقل هذا المشهد .

هذه نموذجات من كتاب السويسري في العهد الحميدي البائد وانما المرء حديث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعده . وأظن ان هذه الوقائع تكفي في إقناع من يحاولون غش التاريخ ومامداح ذاك الدور في الحقيقة الا الذين حلبوا العنزة المسكينة واكلوا درّها ثم نتفوا صوفها وعرّقوا عظمها .

محمد كرد علي